3- خطاب الكراهية وتأثيره على الأمن الاجتماعي العربي

بقلم الدكتورة نضال سليمان الامام

استاذة الحضارة العربية الاسلامية في الجامعة اللبنانية الدولية

Nidal.emam@liu.edu.lb

009613960662

تاريخ الاستلام: 6/4/2022 **تاريخ القبول: 24/5/2022**

ملخص :

إن للإعلام دورا مهما في حياة الناس فهو مسؤول عن تشكيل ثقافتهم ورأيهم العام، وهذا الدور

ليس مقتصرًا على نقل الأخبار فقط بل يتعداه إلى التربية والتوجيه وترسيخ قيم الحق والخير والحرية والعدل في المجتمع. لكن السائد اليوم في مختلف الفضائيات العربية هو خطاب الكراهية الذي أصبح يهدد السلم الأهلي والأمان الاجتماعي وصار أداة للتحريض في غياب الضوابط القانونية والإعلامية وانكشفت الثوابت والمرتكزات التي تتحكم في منطقه ومنها الخلط بين التاريخ والذاكرة الجماعية وإسقاط الديني على السياسي وتحويل العصبية المذهبية إلى عصبية قومية وتضليل الرأي العام بدل المحاججة والإقناع. وإن من أبرز الظواهر في القنوات العربية هي التغطية غير المتوازنة للأحداث ومحاولة بناء منظومة من الأفكار التضليلية لاختراق المجتمع العربي عبر مفاهيم غربية. ولقد كان للإعلام العربي بأشكاله المختلفة أدوار ومضامين جديدة في العقدين الماضين وخاصة مع اندلاع ما سمي بثورات الربيع العربي ، ومع أن الإعلام حقق نجاحا في التأثير على الطبقة السياسية العربية بعد أن تأكدت قدرته على تحريك الشارع وتوجيه الرأي العام الا أن هذا الإعلام افتقد إلى المصداقية والمهنية واتخذ صبغة شعبية وميدانية لا أكاديمية علمية فمصادره الرئيسية كانت الناشطين الشعبويين وليس الباحثين المدققين، وهذا ما جعله يتبنى أجندة شعبية تلقائية بعيداً عما يفترض بالاعلام أن يتحلى به من موضوعية وتحقيق.

فهل كان خطاب الكراهية في الفضائيات العربية وسيلة لزيادة عدد المشاهدين فقط، أم انه كان مخططا من ضمن مشاريع تفتيت المنطقة؟

الكلمات المفتاحية: الاعلام –الفضائيات العربية–خطاب الكراهية–تضليل الرأي العام

Abstract:

Hate Speech on Satellite Channels and its Impact on Arab Social Security

Media has an important role in people's lives, as it is responsible for shaping their culture and public opinion. This role is not confined to the transmission of news only, but also goes beyond it to education, guidance and the consolidation of the values of truth, goodness, freedom and justice in society. But what is prevalent today in the various Arab satellite channels is hate speech, which has become a threat to civil peace and social security, and has become a tool for incitement in the absence of legal and media controls. The constants and foundations that control this logic has been revealed to include the confusion between history and collective memory, the projection of the religious over the political, the transformation of sectarian fanaticism into national fanaticism and the misleading of public opinion instead of argument and persuasion. One of the most prominent phenomena in Arab channels is the unbalanced coverage of events and the attempt to build a system of misleading ideas to penetrate Arab society through Western concepts, where the Arab media in its various forms has had new roles and content in the past two decades, especially with the outbreak of the so-called Arab Spring revolutions. It achieved success in influencing the Arab political class

following its confirmed ability to mobilize the street and direct public opinion. However, these media channels lacked credibility and professionalism and took on a populist and field approch instead of an academic scientific one. Its main sources were populist activists, not scrutinizing researchers, and this is what made it adopt an automatic popular agenda away from what the media is supposed to have in terms of objectivity and investigation. Hence, was hate speech on Arab satellite channels a means to increase the number of viewers only ?Or was it planned among the projects to fragment the region?

Keywords: media – Arab satellite channels – hate speech – misleading public opinion

المقدمة:

لا شك ان للاعلام دوراً مهما في حياة الناس فهو مسؤول عن تشكيل ثقافتهم ورايهم العام، ودوره ليس مقتصراً على نقل الاخبار فقط بل يتعداه الى التربية والتوجيه وترسيخ قيم الحق والخير والحرية والعدل في المجتمع . لكن السائد اليوم في مختلف الفضائيات العربية هو خطاب الكراهية الذي اصبح يهدد السلم الاهلي والامان المجتمعي وصار أداة للتحريض في غياب الضوابط القانونية والاعلامية وانكشفت الثوابت والمرتكزات التي تتحكم في منطقه ومنها الخلط بين التاريخ والذاكرة الجماعية واسقاط الديني على السياسي وتحويل العصبية المذهبية الى عصبية قومية وتضليل الرأي العام بدل المحاججة والاقناع . وإن من ابرز الظواهر في القنوات العربية هي التغطية غير المتوازنة للاحداث ومحاولة بناء منظومة من الافكار التضليلية لاختراق المجتمع العربي عبر مفاهيم غربية . وتعتمد معظم الفضائيات العربية طريقة الاقصاء، فمجرد ان يتم اقصاء طرف او وجهة نظر معارضة من الظهور ومن التعبير عن رأيها في هذه الفضائيات يكون الخطاب اقصاءً ضمني قد يولد الكراهية التي لا تقل سوءاً عن النظرة الاستقلائية والتعصب الفكري في الخطاب الرسمي الذي كان يعتبر نفسه الوحيد الذي يمتلك الحقيقة . ولقد اصبح من الضرورة مواجهة خطاب الكراهية كشرط حاسم لمنع

نشوب النزاعات المسلحة والجرائم الوحشية والإرهاب. والتصدي لخطاب الكراهية لا يعني ابداً تقييد حرية التعبير او حضرها، وانما يعني اتخاذ التدابير اللازمة لمنع تفاقمه وتحوله الى ما هو اخطر من ذلك كالتحريض على التمييز والعدوانية والعنف المحضور بموجب القانون الدولي .

لقد كان للاعلام العربي بأشكاله المختلفة أدوار ومضامين جديدة في العقدين الماضين وخاصة مع اندلاع ما سمي بثورات الربيع العربي في مصر وتونس وليبيا وسورية والبحرين واليمن لا من حيث السرعة في نقل الخبر فقط انما من حيث بلورة الرواية عن هذه الاحداث، وبذلك يكون الاعلام جزءاً لا يتجزأ من هذه الثورات اذ ان بعض الفضائيات ساهمت في صناعة هذه الثورات واحتدم التنافس السياسي ليس فقط على ارض الميدان بين الاطراف المتنازعة، وانما على الفضاء حيث دخل اللاعبون الاقليميون والدوليون على حلبة الصراع السياسي والايديولوجي.

ومع ان الاعلام حقق نجاحاً في التأثير على الطبقة السياسية العربية بعد ان تأكدت قدرته على تحريك الشارع وتوجيه الرأي العام الا ان هذا الاعلام افتقد الى المصداقية والمهنية واتخذ صبغة شعبية وميدانية لا اكاديمية علمية، فمصادره الرئيسة كانت الناشطين الشعبويين لا الباحثين المدققين، وهذا ما جعله يتبنى اجنده شعبية تلقائية بعيداً عما يفترض بالإعلام ان يتحلى به من موضوعية وتحقيق .

فهل كان خطاب الكراهية في الفضائيات العربية وسيلة لزيادة عدد المشاهدين فقط، ام انه كان مخططا من ضمن مشاريع تفتيت المنطقة؟

إن انتعاش الفضائيات العربية تزامن مع الأحداث المعاصرة الكبرى: من حرب الخليج الثانية عام 1991 والسعي لإخراج قوات صدام حسين من الكويت، إلى حرب الخليج الثالثة، أي غزو العراق من قبل أميركا وبريطانيا بلا أي شرعية دولية، مرورا بمؤتمر مدريد للسلام واتفاقيات أوسلو عام 1993 وأحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 في أميركا، وغزو أفغانستان وتفشي التطبيع في العالم العربي.

ظهرت فضائيات عربية كثيرة يصل عددها اليوم إلى أكثر من 1400 فضائية شملت الغناء والرياضة والدين والسياسية. وتركز معظمها في دول الخليج ومصر ولبنان، مقابل

ظهور فضائيات عربية ممولة من إيران يقودها اتحاد الإذاعات والتلفزة الإسلامية [1].

بدا التناغم واضحا في اللغة الإعلامية الجديدة بين الفضائيات الممولة من دول الخليج والاعلام الغربي بعد عام 2001.

لقد اندفع مشروع الشرق الأوسط الكبير وما خطط له بعض المحافظين الجدد في الإدارة الأميركية ليشق طريقه نحو التنفيذ عن قرب.

أولا: التحريض وإثارة الفتن:

بدأ الإعداد الإعلامي لتمزيق الرأي العام العربي والإسلامي، عبر تشجيع قوى وتيارات وجمعيات وبعض الأصوات الإقليمية ذات الهوى الخاص بإنشاء الكيانات من أجل امتلاك القنوات الفضائية، وخصص الأموال الطائلة لذلك. وبدأنا نلحظ لغة إعلامية جديدة وثقافة إعلامية مختلفة تنطلق من ثقافة الأقليات، وبدا أن إعلاما طائفيا حادا أخذ يشق طريقه نحو العلن مسقطا كل المسلمات والثوابت التي كانت قائمة.

وتحولت هذه الفضائيات إلى منابر خطابية مرئية مباشرة، لها هدف محدد هو السعي لإحداث الشرخ المطلوب في القناعات العربية وحتى الدينية، وتعزيز التوجهات الطائفية والمذهبية في أجزاء كثيرة من العالم العربي.

لقد تحول النقاش في مواضيع حساسة بين السنة والشيعة إلى حوار متفجر جعل بعض المسلمين يتذكرون أن هناك سنة وشيعة بعد أن نسوا ذلك. وأسهم هذا الخطاب في تأجيج الغرائز المكبوتة.

وتناغم ذلك مع الأحداث التي كانت تجري في العراق ولبنان وسوريا ومناطق أخرى، فيما كانت تثار أيضا قضايا الأقليات كالبربر في المغرب والأكراد والأقليات العرقية والمذهبية الأخرى [2].

كذلك تزامن ارتفاع حدة خطاب الكراهية في الفضائيات العربية مع احتدام الصراع بين القوى السياسية والعسكرية من اجل الاستيلاء على السلطة في البلدان التي تعيش حربا أهلية بكل امتداداتها الإقليمية والدولية. ففي العراق، وبعد سقوط نظام صدام حسين

(1) سامي كليب: هل يساهم الإعلام العربي في تنوير العرب أم تضليلهم؟ مركز الحوار العربي في 26/آب/2020.

(2) رفيق نصر الله: الأمن الإعلامي العربي إشكالية الدور والهوية، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت 2007, ص76.

في 9 نيسان 2003 قامت القوات الأمريكية بتفكيك النظام السياسي والإداري البعثي واستبدلت به نظاما قائما على المحاصصة الطائفية، وترافق ذلك مع تأسيس منظومة إعلامية أفرزت العديد من الفضائيات ذات الطابع الطائفي أيضا.

وفي الحقيقة، إن هذه القنوات الفضائية لم تخترع الاختلاف بين المذاهب الدينية في العالم العربي، لكنها حولته بممارستها إلى قضية عامة، يخوض فيها الدهماء الذين لا يملكون أي خلفية معرفية في الدين أو السياسة، فسعوا إلى تأجيج الحساسية المذهبية والطائفية بناء على محدودية فهمهم للنزاعات المعقدة في عالمنا العربي [1].

نحن نعيش اليوم بسبب الإعلام الديني فوضى وعبثية فكرية دينية لم يسبق لها مثيل على الإطلاق، والعامل المشترك الأكبر في هذه العبثية والفوضى هو الجذور الدينية لكل أفكارنا غير الدينية، وأيضا غياب المنهج العلمي في التفكير الديني وفهم النص، وذلك يرجع لكوننا تعودنا على قبول الموروث للفكر الديني دون تمحيص او مناقشة أو تحليل، أضف إلى ذلك ادعاء ان من سبقونا كانوا أكثر فهما ووعيا منا في معرفة مقاصد الدين والشريعة والأحكام. كذلك من اهم أسباب غياب المنهج العلمي هو الانغلاق على تيارات فكرية، حيث يظل ممنوعا ومحظورا على اتباعها مجرد الاقتراب من التفكير العلمي لمناقشة الأفكار وطرح أسئلة عليها، لأن ذلك سيؤدي حتما إلى انهيار كل تلك الأفكار من قواعدها [2].

ونشأ جيل جديد من العاملين في الفضائيات ممن تبنى ثقافة الأقلية التي ينتمي إليها، وتعززت عنده روح الغرائز والعداوات المتكاملة العناصر. وبدأت تتوسع رقعة استخدام كل التقنيات لخدمة البروبغندا الإعلامية لكل الطرفين، ثم تم فرز التقنيين وأصحاب الاختصاص كل إلى موقعه، فنمت جزر إعلامية مغلقة.

ثانيا: تزييف الواقع:

كانت الفضائيات اللبنانية تتجاوز القوانين على مدار الساعة متحصنة بالطائفة التي تنتمي إليها، وأدّت دورا مباشرا في التحولات وفي خلق الأحداث، وحتى في خلق الحساسيات دون التحسب لأي رد فعل للسلطة أول الجمعيات والمؤسسات الأهلية التي

(1) نصر الدين العياضي: الخطاب الطائفي في الفضائيات الدينية: كلفة الخلاف وتداعيات، مركز الجزيرة للدراسات، 7-تشرين الثاني-2015.

(2) نهرو طنطاوي عن صباح يونس: أثر الإعلام الحديث في تغيير اهتمامات الشباب وسلوكياتهم، مؤتمر الجنوب الثاني، الجامعة اللبنانية، منشورات رشاد برس، صفحة 551

بدت عاجزة في مواجهتها.

وبعد اغتيال رئيس الحكومة اللبنانية رفيق الحريري، بدأت مرحلة الانقلاب الإعلامي غير الخاضع لأية قوانين أو ضوابط، وبرز خطاب الكراهية بشكل واسع، وتم استخدام كل الإمكانات في تنظيم نوع من البروبغندا والبروبغندا المضادة في نقل صورة الشارع واستخدام الكاميرا بما عرف يومها «سياسة الزوم» وممارسة الخدع والخداع المضاد في حشد التظاهرات ولعبة الساحات لفرض تعداد غير واقعي للمتظاهرين. وتحولت الشاشات ملكا للانفلات الشارعي عبر تعميم لغة غير مألوفة عبر هذه الشاشات، من كلمات نابية وسباب وشتائم، كان لها تأثير كبير في خلق شرح حقيقي في الشارع السياسي والطائفي في لبنان [1].

وفي الحقيقة، إن المتلقي والناقل ينتميان إلى الحضن طائفي نفسه، وتم تهيئة المتلقي لمشاهدة الفضائية باعتبارها ناطقة باسم الطائفة، ومرجعيتها «الصادقة» التي تعرف الوقائع وتستلهم الموقف منه. ثم تقوم هذه الفضائية بتعزيز طلب المتلقي عبر بث برامج سياسية واجتماعية ودعائية في محاولة حثيثة لتغليب اختيار القناة دون غيرها لديه، وفي هذا السياق يتم بث برامج سياسية «حوارية» و»موضوعية» يتساجل فيها المختلفون والمتعارضون إلى حد المشادات والتشابك بالأيدي، وكان صراع الديكة في هذه الفضائيات هو المقياس الأهم في رفع نسبة المتابعين، فحل الصراخ مكان الفكر، وتكسير الأستديو مكان المعلومة والنقاش العلمي الهادف، فضاعت البرامج وضيعت الجمهور، وزادت الفتن والانقسامات وتلاشت أخلاق الإعلام وشرعة الصحافة [2].

ويتحدث الصحافي ادمون صعب بقرف عن سيادة عصر «العهر الإعلامي»، حتى أنه جعله عنوانا لكتابه، وجاء فيه انه «المعرصة الكونية» التي تستفحل في عصر العولمة المتوحشة، بما تفتحه من أبواب لكي يسود التافهون علينا في كل ميدان و مجال، إذ أطلقت العنان لاجتياح المعايير والحدود من قبل مغول هذا العصر، ومن ضمن ذلك مغول الإعلام والشرهون لتحقيق الشهرة... لا داعي لأدلة، و الشواهد التي اصبح الإعلام اللبناني فيها منصة للإرهابيين حيث يتم تجميل صورتهم, ومنطلقا للهجوم

(1) رفيق نصر الله: الأمن الإعلامي العربي إشكالية الدور والهوية، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت 2007, ص76.

(2) رشيد شقير: الإعلام والقوى السياسية في لبنان مقاربة منهجية، مؤتمر الجنوب الثاني، مصدر سابق، صفحة 236و 237.

على المصلحة اللبنانية وتجريم الشعب اللبناني، ومسرحا لعارضات الأزياء لتصبحن مذيعات، من دون أن يعرفن «فك الحرف» ومواقع لنحر اللغة العربية... إعلام بات منصة للتسطيح والتسخيف، وفيه «بروفايل» المحاور المطلوب أن يكون «شرعوبا» بارعا في الصراخ وتأنيب الشخص الذي يحاوره ولا يتركه يكمل، ترويجيا لشعارات كاذبة من نوع أن الواجب جذب الجمهور وليس «إضجاره»، وكان المشاهد أو المستمع أو القارئ ينتمي إلى جمهور من متابعي حلبة مصارعة الثيران، وليس متلقيا لرسالة إعلامية،وكأن هذا الجمهور لا يكفيه مصاعب الحياة ليأتي الإعلام مليئا بالعنف الرمزي والاعتداء والدماء وانتهاك الحرمات والبورنو جرافيا، والعهر بأشكاله كافة [1]...

تمكن هذا الإعلام من إعادة صنع بعض الرأي العام، واجراء تحولات زلزالية لدى شرائح كبيرة من الجمهور اللبناني، وأسهم في إحداث الأزمات تحت عناوين كثيرة، وتم استخدام بعض «اللاإعلاميين» في ضرب القواعد المتبعة عادة في اختيار مقدمي البرامج السياسية.

ونافس السياسيون الإعلاميين في الظهور على الشاشات على مدار الساعة، وبث سموم خطاب الكراهية، فيما كانت أجهزة السلطة عاجزة عن القيام بأي دور.

وقد باتت أساليب تكوين الرأي العام تعتمد على:

1- لفت الانتباه إلى اتجاه محدد، كالتركيز المستمر على ما يفرق ويزيد الانقسامات ويشحن النفوس.

2- تكرار الخبر مع تعدد المصادر، فالطروحات نفسها تردد، ولكن على ألسنة متعددة من السياسيين والحزبين والنواب والوزراء والناشطين، وكلٌّ يعزف على ذات الوتر وعلى مدار الساعة.

3- ذكر

4- تسليط الأضواء على نقطة أو مشكلة ثانوية واحدة، وإغفال كل المواضيع التنموية التي تهم الناس، كالضائقة المعيشية وارتفاع الأسعار وعقود الإيجارات، وكل القضايا الأساسية التي تتسبب بجوع الناس فقرهم.

(1) إدمون صعب: من إبراهيم اليازجي إلى غسان تويني: أشرف مهنة مهددة بقواعدها وأخلاقياتها، دار الفارابي، بيروت،2018.

5- التعتيم الإعلامي بشكل كامل على القضايا التي تجمع وتشد أواصر الوحدة داخل المجتمع، فنلاحظ أنها تمر في الأخبار المتفرقة تلفزيونيا وإذاعيا، في حين يتم التركيز على القضايا التي تمزق وتزيد من التنافر والتباعد.

6- تعطيل العقول، وإثارة النعرات الطائفية والمذهبية، بحيث يصبح الرأي العام قابلا للتفجير عند أول شرارة [1].

ويعمل خطاب الكراهية على تقويض التماسك الاجتماعي وينال من القيام المشتركة، ويتفاقم ليصل أن يكون نقطة الارتكاز التي ينطلق منها العنف، ليهدد الاستقرار والأمن الاجتماعي.

وجاءت حرب تموز الـ 2006 لتظهر سقوط بعض الإعلام اللبناني في كمين هذه الحرب، وبدا أن بعض الفضائيات مثلت في خطابها وتوجهاتها انعكاسا سلبيا للواقع السلبي، فسقطت معادلة أن لبنان كله في حرب، وتم العمل على تصوير أن الحرب كانت ضد جهة ما أو طائفة ما، وهذا ما جعل بعض الفضائيات ذات الخلفيات السياسية المعروفة تبدو وكأنها تتبنى ممارسات معدة مسبقا، وتتناغم مع المشروع الكامل الذي جاءت هذه الحرب في سياقه، هذا الامر أدى إلى حدوث شرخ واضح في الجسد السياسي اللبناني وحتى الأمني، وبدأت حملات التشكيك حتى في العمليات العسكرية التي كانت تجري في الميدان.

لقد تعاطت بعض الفضائيات اللبنانية مع هذا الحدث التاريخي الذي يطال المصلحة القومية للبلد كما لو أنها تواجه مظاهرة طلابية، وتحولت الشاشات المحلية إلى منبر انقسامي في لحظة كانت الجغرافيا اللبنانية تتهاوى تحت آلاف الغارات والصواريخ الإسرائيلية في أوسع حرب يواجهها لبنان.

وباتت القنوات الفضائية تستقطب شريحة واسعة وخاصة فئة الشباب، مما ادى إلى زرع قيم جديدة لديهم بمعظمها سلبية منها: التعصب الطائفي والمذهبي، محاولة إلغاء الآخر، الانغلاق على الذات والجماعة التي ينتمي إليها، الضغينة وتفكك الروابط الاجتماعية.

(1) خالد اللحام: صناعة الرأي العام، دار النفائس، بيروت، ص 35 و36.

ثالثا: التبعية للغرب:

المشكلة الكبيرة تكمن في أن العرب لا يملكون أي شيء في تكنولوجيا الإعلام المستقبلي الحديث، فهم يستوردون كل شيء من الغرب ومراكز الدراسات الغربية فيه، ما يعني أن قدرتهم على التحكم بالمضمون ستكون معدومة، وسيتبعون توجهات الدول التي تمتلك محركات تكنولوجيا التواصل. وقد رأينا كيف يتم حجب أي خبر او صورة لا تناسب اصحاب هذه المحركات، بينما تبقى صور وأفلام كثيرة تعرض لأشهر طويلة رغم ارتباطها بالإرهاب، منها فيلم إحراق الطيار الأردني الشهيد معن الكساسبة، وهذا يعني أنا القضايا العربية التي كانت أساسية في الماضي، تساقطت تباعا من منظومة الإعلام العربي.

ان الإعلام العربي، مقروءا ومسموعا ومرئيا، كان سلاح الدمار الشامل الذي استخدم لضرب الواقع العربي، وقد أطلق رصاصة على الأدمغة العربية بقرار ذاتي ناجم عن غياب مصادر للمعلومات غير المصادر الغربية، وعن قرارات بالارتباط الإعلاني–الإعلامي بينه وبين اعدائه، فالكلمات تقتل مثل الرصاص، ويتبين ذلك من خلال ما نشر واذيع وعرض حول أسلحة الدمار الشامل، وما اثير حولها من مقالات وتصريحات وحوارات حول عدم قدرتنا على مواجهة العولمة الأمريكية، وكأنها القضاء الذي لا محيد عنه، اما صور المجازر والضحايا الناجمة عن العدوان الأمريكي الذي يطال معظم دول العالم العربي والإسلامي، فيتم استعراضها بطريقة متكررة بهدف ايصال المجتمع العربي خاصة والإسلامي عموما إلى حال من الإحباط النفسي واليأس الكامل، من انسداد الأفق، فلا نستغرب بعدها كيف تظهر الحركات الإرهابية.

اما الإعلام العربي وخاصة الفضائيات في التطبيق بكافة صوره وأشكاله، فكان أشبه بالببغاء الذي يردد مقولات الأعداء كحقائق ثابتة، وكنتائج متوقعة لا محالة، كبث الأحاديث عن السير باتجاه التفتيت والتقسيم على أساس إقليمية، وعن الاكثرية والأقلية الدينية أو القومية، وحتى أن الإعلام العربي استخدم المسميات الغربية لواقعنا كمسلمات، في مقابل تصوير إسرائيل كدولة جيش لا يقهر، فلما قهرها الشعب اللبناني بمقاومته الباسلة تحول الحديث في الإعلام العربي عن إسرائيل كدولة لها امتدادات دولية خارقة قادرة أن تضغط على العالم كله [1].

(١) خالد اللحام: صناعة الرأي العام، دار النفائس، بيروت ٢٠٠٧، ص ٣٣و٣٤.

الأمن الاجتماعي يضم المجالات كافة: جنائي وقومي وسياسي واقتصادي وغذائي، وبتحقيقه يتحقق للمجتمع الأمن بمفهومه الشامل. ولذلك فإن مسؤولية تحقيق الأمن الاجتماعي ليس مقتصرا على المؤسسات الحكومية وأجهزة الضبط الأمني وحسب، بل هي وظيفة اجتماعية لكل فئة من فئات المجتمع وفي مقدمتها وسائل الإعلام.

تعريف الأمن الاجتماعي: انه انتشار الاستقرار والطمأنينة والأمان في المجتمع، والشعور الناس بها في جميع الامور الحياتية المتعلقة بهم، وسد جميع الأسباب التي تؤدي إلى الخلل في أحد جوانب الأمن المرتبطة بالمجتمع وأفراده [1].

إن المرتكز الأساسي لمفهوم الأمن عند ابن خلدون هو «العصبية» باعتبارها العنصر الأساسي لقوة الوحدة السياسية وقيام الاجتماع الإنساني، والعصبية تعني الاحساس المشترك العام الذي يشعر به الافراد، تجاه ما يربطهم من نسب أو قرابة او صلة رحم، وما تقتضيه علاقات الجوار والولاء والتحالف لرفع الظلم، وغير ذلك من مظاهر متعددة تسهم في تحقيق الروابط الاجتماعية والسياسية والتضامن بشكل عام [2].

أهمية الأمن الاجتماعي تبرز من خلال الأهداف التي يمكن تحقيقها في ضوئه، ومن بينها:

1- الشعور بالاستقرار والاطمئنان والسكينة في المجتمع، وعدم حدوث القلاقل والفتن فيه.

2- المحافظة على منجزات المجتمع وأبنيتها الأساسية من أن يصيبها الخلل أو ضياع أو الدمار.

3- تحقيق التنمية البشرية في المجتمع وتنويع مصادر الاقتصاد.

4- سد جميع منابع الجريمة، والتقليل منها بأكبر قدر ممكن، وتحقيق الحياة السعيدة للجميع في ظل الاستقرار الأمني الاجتماعي [3].

تخوض قوي الهيمنة الإمبريالية والصهيونية حربا شعواء ضد الأمة العربية، بهدف

(1) سليمان الكعبي: الأمن المجتمعي منهج شرعي ومطلوب حياتي، مركز لندن للبحوث، لندن، 31 كانون الأول 2019.

(2) علي اسعد بركات: الأمن الاجتماعي: دراسة الحالة: جامعة دمشق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 2011.

(3) سليمان الكعبي: مصدر سابق.

إبقائها في إسار التخلف والتبعية والتجزئة، لتنصاع لمتطلبات «السلام الصهيوني»، ويقوم التطبيع بدوره في مواجهة هوية الأمة ومرجعيتها ومصادر الشرعية فيها، وهي تخوض أعنف المعارك وأشرسها لحسم «المعركة الثقافية»، وميدانها الوعي والعقل، لكي تدق آخر حصون المقاومة. وعندما وجدت هذه القوى أن الثقافة العربية عصية على الاختراق لعراقة جذورها ومتانة مقوماتها، لجأت لاختراق أبرز المثقفين العرب، وبالتالي استخدامهم كأحصنة طروادة لاختراق الحصون الثقافية العربية. اختراق المثقفين العرب ليس بالضرورة أن يأخذ شكل الاختراق الصهيوني المباشر كي، لا يكشف أصحابه ويقلل من تأثيرهم، بل هو يأخذ شكل الترويج لقيام علاقات ومفاهيم تصب مباشرة في تدمير المناعة الثقافية العربية، عبر وسائل الإعلام ومنها الفضائيات العربية [1].

رابعا: الإعلام مطية السياسة:

يتساءل البروفيسور جون ميرشايمر في كتابه «لماذا يكذب القادة والزعماء؟» (حقيقة الكذب في السياسة الدولية)، وماذا يحدث حين تكشف الكذبة؟ وهل يدفع من صاغ الكذبة

هذا الدجل الإعلامي العام من الغرب إلى الشرق، تكرر بشكل واسع في الحرب السورية فوق جثث الضحايا وأشلاء السوريين، وقام الإعلام باختيار ما يريد أن يراه وحجب ما يشاء من الحقائق. وإذا كان الكذب جزءا أساسيا من السياسة الغربية، ويلحق بها الكثير من مؤسسات الإعلام التي تروج لما تريده السياسة، فإن الفضائيات العربية انضوت في ركاب المروجين لهذه السياسات [2].

لقد أدركت الادارة الأمريكية أهمية القوة الكامنة في الإعلام الذي أصبح من أهم الوسائل التي ارتكزت عليها المخططات الاستراتيجية الأمريكية، وقد رأينا أن معظم ما تم تنفيذه من مخططات وصل أحيانا إلى درجة احتلال دولة ما استنادا إلى تاج الدولي تمثله في الرأي العام العالمي تمثل في الرأي العام العالمي والذي تم تشكيله عبر الاستراتيجيات الإعلامية التي تم صنعها بإتقان تجاه قضايا وأهداف محددة مثلما حدث

(1) مجدي حماد وعدة مؤلفين: نحو استراتيجية وخطة عمل الصراع العربي–الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، صفحة 114

(2) جون ميرشايمر: لماذا يكذب القادة؟ حقيقة الكذب في السياسة الدولية، ترجمة غانم النجار، عالم المعرفة، الكويت، 27 كانون الأول 2016.

في ليبيا والعراق وسوريا [1].

يروي السفير الفرنسي السابق في عدد من الدول الإفريقية، ميشال ريمبو في كتابه: «عاصفة على الشرق الأوسط الكبير»، أن المسألة السورية قد برمجت منذ الصيف 2001 مذكرا الدور الذي لعبه «دنيس روس» أحد مستشاري الرئيس الأمريكي السابق باراك أوباما، ثم المستشار الخاص لهيلاري كلينتون، الذي كان خلف فكرة جعل المجلس الوطني السوري المعارض المحاور الوحيد للغرب. ويروي الكاتب ان وزير الدفاع الإيطالي السابق السناتور «ماريو مورو» سأل اثناء زيارته إلى كردستان العراقية عام 2009، عن الغاية في تشييد بعض المباني فكان الجواب: «انه للاجئي الحرب في سوريا».

يقول ريمبو إن الإعلام الغربي يجعل صورة بشار الأسد «كصورة الجزار»، ويؤكد أنه لا يزال يتمتع بشعبية تتراوح بين 60 و80 بالمئة». ويصف الأحداث التي عصفت بالمنطقة تحت مسمى «مضلل وهمي» أطلقوا عليه تعبير «الربيع العربي» وهو في الحقيقة خريف قاتل، ويأس ممزق لمجتمعات كلما حاولت النهوض في تاريخها المعاصر جاءتها الضربات الموجعة من دعاة الحضارة المعاصرة في الغرب ناهيك عن مشكلاتها الوجودية الملازمة لها منذ قرون طويلة. فالإسلام السياسي الذي وظف من قبل الغرب في السابق للمحاربة الشيوعية، أصبح قابلا بعد التطويع الكامل ليقوم بالأدوار المطلوبة منه غربيا، وبعد أن تشظى إلى جماعات مسلحة تتنافس في التشدد والتطرف والعنف [2].

وأخيرا فإن لكل عصر سماته وميزاته، وربما من أهم ميزات هذا العصر قوة الإعلام والاهتمام بالصناعة الرأي العام. ومن المؤكد أن الغرب ماض في هجمته التي تأخذ من هذه المرحلة شكلا حسما الخيارات لمصلحته، بأحداث تبديل كامل في منظومة الانتماءات والثوابت التي نشأ عليها الفكر العربي.

من هنا تبرز الحاجة إلى خطاب إعلامي عربي مسؤول في مواجهة الخطر الناجم عن خطاب الكراهية السائد في معظم الفضائيات العربية:

1- فإذا كان هدف خطاب الكراهية هو التفكك الثقافي لوحدة المجتمع العربي وتدمير

(1) عادل عامر: تأثير الإعلام على الأمن القومي مقال في إسلام ويب، 25/أيار/2013.
(2) أحمد الميداوي: قراءة في كتاب عاصفة على الشرق الأوسط الكبير، للسفير الفرنسي السابق ميشال ريمبو، ترجمة: لبانة مشوح، فرنسا 2017.

مقومات تماسكه فإن العنوان المضاد يبقى في اعتماد الخطاب الحريص على تنمية عناصر الوحدة في مجتمعنا وتعزيز أواصر التماسك بين أبناء امتنا وترسيخ ثقافة الوحدة.

2- اعتماد منظومة أخلاقية تنظم حرية الإعلام ولا تقيده وتحرره من التبعية لمراكز الدراسات الغربية.

3- إنقاذ الفضائيات العربية من يد ذوي المال، فقد أصبح الرأس المال العربي الخاص هو المالك المباشر لمعظم هذه الفضائيات أي بنسبة 65 بالمئة مما أدى إلى فرض ثقافة المزاج على توجهات هذه المحطات إلى جانب البعد التجاري وذلك عبرة توفير الإمكانات لتأسيس مراكز دراسات متخصصة.

4- تدريب الإعلاميين الشباب على أخلاق المهنة وتكنولوجيا الإعلام الحديث: لغة وتقنيات، ليتم تزويدهم بلغة علمية موثوقة تستند إلى الأبحاث العلمية الجادة والموضوعية.

5- الاهتمام بالدعاية في عملية إقناع الرأي العام بعدالة قضايانا وتدريب متخصصين في الدعاية وكشف زيف الخداع الممنهج للحد من تأثير خطاب الكراهية في كي الوعي وقصف العقول.

المصادر والمراجع:

1. أحمد الميداوي: قراءة في كتاب عاصفة على الشرق الأوسط الكبير، للسفير الفرنسي السابق ميشال ريمبو، ترجمة: لبانة مشوح، فرنسا 2017.
2. إدمون صعب: من إبراهيم اليازجي إلى غسان تويني: أشرف مهنة مهددة بقواعدها وأخلاقياتها، دار الفارابي، بيروت،2018.
3. جون ميرشايمر: لماذا يكذب القادة؟ حقيقة الكذب في السياسة الدولية، ترجمة غانم النجار، عالم المعرفة، الكويت، 27 كانون الأول 2016.
4. خالد اللحام: صناعة الرأي العام، دار النفائس، بيروت 2007.
5. رشيد شقير: الإعلام والقوى السياسية في لبنان مقاربة منهجية، مؤتمر الجنوب الثاني.
6. رفيق نصر الله: الأمن الإعلامي العربي إشكالية الدور والهوية، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت 2007.
7. سامي كليب: هل يساهم الإعلام العربي في تنوير العرب أم تضليلهم؟ مركز الحوار العربي في 26/آب/2020.
8. سليمان الكعبي: الأمن المجتمعي منهج شرعي ومطلوب حياتي، مركز لندن للبحوث، لندن، 31 كانون الأول 2019.
9. عادل عامر: تأثير الإعلام على الأمن القومي مقال في إسلام ويب، 25/أيار/2013.
10. علي اسعد بركات: الأمن الاجتماعي: دراسة الحالة: جامعة دمشق، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 2011.
11. مجدي حماد وعدة مؤلفين: نحو استراتيجية وخطة عمل الصراع العربي–الصهيوني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000.
12. نصر الدين العياضي: الخطاب الطائفي في الفضائيات الدينية: كلفة الخلاف وتداعيات، مركز الجزيرة للدراسات، 7–تشرين الثاني–2015.
13. نهرو طنطاوي عن صباح يونس: أثر الإعلام الحديث في تغيير اهتمامات الشباب وسلوكياتهم، مؤتمر الجنوب الثاني، الجامعة اللبنانية، منشورات رشاد برس.